

الوافي في الوفيات

قلت : أجأ وسلمى جبلان معروفان من جبال طيء . وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في أول الحال لا ينادمه ولا يحضره مجلسه وإنما كان ينشده أيام المواسم والأعياد المدائح التي يعملها فيه فلما كان في بعض الأيام رآه في الصحراء وهو في روضة معشبة وبين يديه برزون له مريض يرعى فجاء إليه ووقف عنده وقال : مالي أرى هذا البرزون ضعيفاً ؟ فقام وقبّل الأرض وقال : يا مولانا السلطان حاله مثل حالي وما تخلّفت عنه في شيء يدي بيده في كل رزق يرزقنا . فقال له : هل عملت في برزونك هذا شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده بديهاً :

أصبح برزوني المرفّع بال ... لمصقات في حسرةٍ يكا بدها .
رأى حمير الشعير عابرةً ... عليه يوماً فطلّ ينشدها .
قفا قليلاً بها علّمي فلا ... أقلّ من نظرةٍ أزودّ ها .

فأعجب السلطان بديهته وأمر له ديناراً وخمسين مكوكةً من الشعير وقال له : هذه الدنانير لك والشعير لبرزونك ثم أمره بملازمة مجلسه كسائر الندماء ولم يزل يترقّص عنده إلى أن صار لا يصبر عنه . ومن شعر ابن الحلوي :

أرثّ - صرف الزمان حالي ... فما لدهري ترى وما لي .
حتى كأني له عدوّ ... يرشقني منه بالنبال .
وطالما كنت وهو عندي ... وعن أخلاي في اشتغال .
ولو أتاني لصلت فيه ... أمراً ونهياً ولا أبالي .
أين زمني الذي تقصّى ... وأين جاهي وأين مالي .
وأين خفّي وطيلساني ... وأين قبلي وأين قالي .
وأين عيشي وأين طيشي ... وأين حسني وحسن حالي .
ونحن في فتيةٍ كرامٍ ... نجارهم في الفخار عال .
قد جعلوا اللهو رأس مالٍ ... فدته نفسي من رأس مال .
قد درسوا الفسق من قديمٍ ... فكم لهم فيه من جدال .
من أرغب الناس في الفقاح ال ... لذيدة المنيك الثقال .
مخذّث عندهم لنيكٍ ... أحسن من زينةٍ ومال .
فما لهم قطّ من حديث ... فيه سوى النّيك والبدال .
فقائل ناكني فلان ... ونكته لا له ولا لي .

وقائل حين طاح سكرًا ... وراح يحبو إلى البزال .
شواربي فقحتي سبالي ... مقعدتي قمّتي تعالي .
ونحن في مجلسٍ بديعٍ ... جلّ عن الوصف والمثال .
جمّع فيه من كلّ شيءٍ ... فتمّ في غاية الكمال .
فالرّاحُ في الراح والملاهي ... في اللهو والنّقل في النّقال .
وللملاهي به ضجيجٌ ... وللرّواويق والمقالي .
فالدّفّ فوّ دفّ دفّ دد دفّ دفّ ... والزّمّر تلاّ تلاّ تلاّ .
والجنك دن دن ددن ددن دن ... تصلحه ربّة الحجال .
خريدة رودة رداح ... سيحله عذبة المقال .
تفتن بالدّلّ والتجنّي ... والحسن والتّيّه والدلال .
عذّت فهام الفؤاد منّي ... وجداء إلى سحرها الحلال .
وبيننا قهوة كتبرٍ ... رصّعها المزج باللاكي .
حديدة الطعم عتّقتها ... ألفاء ألفا يد الليالي .
صفراء كالنار بل تراها ... مذ شابها الماء ذا اشتعال .
يسعى بها شادن رشيق ... مهفف القدّ ذو اعتدال .
مورّ د الوجنتين حلو ... سواه في الناس ما حلا لي .
قلت له إذ أطال وعدي ... ولجّ في العذل والمطال .
دع التّجنّي فليست أسلو ... أخ أخ أخ يا محالي .
لم ؟ ا بدا وهي في يديه ... كالشمس في راحة الهلال .
فطبّ طبّ فوق رأسي ... وطاق طرطاق في قذالي .
وتفّ تخ وسط وجهي ... وقاع قع قاع في سبالي .